«میدیا»

چان آنُویّ

مقدمة

چان آنوى كاتب مسرحى أساسًا ، وفوق كل شىء .. وهو من الكُتّاب الذين لم نعد نجد منهم الكثير فى هذا الصدد ، فلا يكاد يُعرف عنه شىء إلا ما يكتب للمسرح ، ولا تكاد تكون له تلك «الشخصية العامة» التى نعرفها عند معظم الكتّاب المعاصرين . وهو لا يكاد يكتب شيئًا إلاّ للمسرح ، ولا يكاد يعيش إلاّ حياة المسرح ، وهو لا ينضوى تحت لواء مدرسة أدبية أو فلسفيّة ، ولا يكتب شيئًا فى الصحف ، ولا يشرح أو يفلسف مسرحياته ، وليست له - كما يقول - «سيرة يسردها» . ظلّ ، رغم شهرته العريضة ، يُؤْثِر العزلة والبعد عن الأضواء ، كأنما كان يكتب ، وحده ، لعالم المسرح الخاص الغريب وحده .

نحن نعرف أنه ولد فى «بوردو» فى سنة ١٩١٠ ، من أسرة من الطبقة الوسطى الفقيرة ، وأنه لم يكمل دراسته لأسباب مالية ، وأنه انقطع عن دراسة الحقوق ليشتغل فى دار للإعلان ، وأنه - بعد أن قضى فترة الخدمة العسكرية - عمل سكرتيراً للممثل الشهير «لوِى چوڤيه» .

ونحن نعرف أيضًا أنه كان منذ صباه الباكر مفتونًا بالمسرح - وليس ذلك بالشىء الغريب فى نهاية الأمر - وأنه أخذ يحاول كتابة مسرحيات شاعرية منذ كان فى الثانية عشرة من عمره ، وأنه راح يشهد المسرح بانتظام فى فترة دراسته الثانوية فى باريس منذ كان فى

الخامسة عشرة ويقرأ المسرحيات بكل ما يمكن أن نتصوره لدى فتىً سَحَره المسرح من نهمٍ وإقبال ، كما نعرف أن «چيرودو» صاحب مسرحية «سيجفريد» قد «فتح له مفتاح سرٍ ظل مفقوداً مدة طويلة» .

في ٢٢ أبريل ١٩٣٢ وثب اسم الكاتب المسرحي الشاب الجديد «چان آنوى» إلى قمة الشهرة ، في ليلةٍ واحدة . ليلة «البروڤة العامة» لمسرحية «السمّور الأبيض» أو «القاقم» .

ولكنّ الشهرة الذائعة لم تستطع أن تغيّر شيئًا من حياة هذا الكاتب، كما لم تستطع أن تغير منها دراسةُ الحقوق ، ولا العمل في الإعلان ، ولا متاعب الفقر التي عاني منها الكثير في حداثته .

وإذا كانت هذه التجربة المريرة – تجربة الفقر – هي التي طبعت طفولة آنوى وصباه بطابعها القاسي ، فإن لنا أن ندرك سر إلحاح هذه التجربة عليه في عمله الفني . فهذا كاتب لم تكد تتاح له حياةٌ خاصة يحياها خارج عالم المسرح ، وهو إذن يحيا حياته كلها مع شخصيات مسرحياته ، إنه يكتب للمسرح ما كان مقدراً له أن يعيشه في الحياة . كأن «چان آنوى» الكاتب المسرحي يمتص التيار المتدفق من دماء الحياة التي كان مقدراً لها أن تسري في شرايين «چان آنوى» الإنسان .

ولكن هذه التجربة تأتي عند «آنوى» في سياق تصور درامي مميز. ففي البدء ، عند «آنوى» كانت السعادة .. والسعادة دائمًا كنز مضيّع مفقود . جنة يطرد منها الإنسان منذ الحداثة الأولي ، ويظل يفتقدها أبداً ، ويتوق إليها أبداً ، ولا يبلغها قط، ثم يأتي بعد ذلك الفقر . الفقر ،

عنده . دائمًا ، يأتى مع كل قذارات الحياة ، وسواء كانت هذه القذارات مادية أم معنوية ، فهى على أىّ حال تسمم حياة شخصياته المسرحية ، وتلطخها ، ولا خلاص منها إلا باقتضاء الثمن النهائى الفادح الأخير ..

وفى كل مسرحيات «آنوى» على وجه التقريب ، نجد هذا الصراع القذر مع أدران الحياة يلعب دوراً رئيسيًا ، كأن هذه المرارة قد تركت عنده بصمات لا تُمحى ، ودفعته دفعًا إلى نوع من التمرّد المستمر . ولكنه تمرّد ليس بالسياسى ، ولا بالاجتماعى . بل يوشك أن يكون ثورة ميتافيزيقية لا حلّ لها ، ثورة على «هذا الأمل القذر» ، على «هذه السعادة القذرة» .. على هذه «الحياة التى شدّ ما هى دميمة شوهاء» . هو تمرّد لا حلّ له إلا بالاتجاه إلى الموت .

هذا التوقُ ، إذن ، إلى صفاء مطلق لا وجود له فى العالم ، الشوق إلى طهارة كاملة كليةٍ براءٍ من كل دَنس هو حلم مسيطر على كل أعمال «آنوى» الرئيسية ، ونغمة من النغمات الأساسية فى مسرحه .

نحن نجد ذلك فى أعماله المسرحية «أنتيجون» و «چانيت وروميو» و «المتوحشة» كما نجده فى «ميديا» .

ونحن نجد نفس نغمة الرفض ، والتمرد على الماضى المثقل بالذّل والفقر والقذارة فى مسرحيات «السمّور الأبيض» و «مسافر بلا متاع» و «بيتوس المسكين» .

فى مسرحية «أوريديس» ، كمثال آخر ، لا نجد شيئًا من جلال الأسطورة اليونانية القديمة ، بل نجد أنفسنا أمام فاجعة معجونة حقًا

بأدران الحياة اليومية السوقية المبتذلة ، ولكننا نسمع أيضًا النغمات المألوفة فى مسرح «آنوى» : الوحدة المضروبة على الإنسان لا مفر له من أن يبلوها ، ولا أمن له من وحشتها ، والقذارة التى على الإنسان أن يخوض فيها ، مطالبًا بالنقاء الخالص ، ومناديًا بالطهارة الكلية ، سطوة القدر المخطط المحتوم ، لا معدَى من أن يسير فى مجراه المرسوم ، ثم نداء الحب المنبثق من أجسادٍ معذبة ، والهوى الحسّى المشبوب المشرب بحنان موجع . وأخيرًا الموت ، الملاذ النهائى الذى فيه طاعة القدر ، والذهاب إلى ملاقاة الموت فى تسليمٍ كأنه الكبرياء .

إن النغمات الرئيسية التى سوف نجدها فى «ميديا» هى احتقار السعادة الهيّنة، والسعى إلى أمجاد لا تُنال إلاّ بالتضحية بالعالم والحياة، ووضع الحب ، والوفاء ، موضعًا أسمى ، بما لا يقاس ، عن موضع الراحة والاستقرار والإخلاد إلى طمأنينةٍ عاقلة يسيرة لا يمكن أن تتأتّى إلاّ عن أنصاف الحلول ، والتنازلات ، كما نجد أيضًا النغمة المألوفة التى تزدرى عامة الناس إذ يتوجسون خيفة من الدخول فى غمار المغامرة ، ويُؤْثرون العيش الرخىّ، مع التسليم والخضوع، بدلاً من اقتحام المخاطر فى سبيل استجابة النداء القوى للنقاء الكلّى والخلاص المطلق من كلّ الأوشاب ، ولو كان معناه قبول الموت .

تناول «چان آنوى» «ميديا» الأسطورة ، و «ميديا» المسرحية ، لكى يبث فيها نَفَسًا جديداً من عنده ، وإذا كان «آنوى» قد استلهم بالفعل نغماتٍ كثيرةً من «يوربيديس» و «سينيكا» ، بل أوشك فى بعض المواضع أن يوردَ نصوصًا مترجمة عنهما ترجمة مطابقة ، فإنه من الواضح مع

ذلك أنه خلَق «ميديا» جديدة ، وأعطاها روحًا حديثة وأكسبها معنى معاصرًا آخر، أقرب إلى حساسيتنا وأدخل فى نطاق الثقافة المعاصرة ، وأطوع – على أىّ حال – للتعبير عن القضايا والمواقف التى تهم «آنوى» وتشغله فما يزال يلح عليها مرة بعد مرة ، فى مسرحية تلو مسرحية ، حتى لتكاد هذه المواقف والقضايا، بالذات، يتكون منها قوام مسرح «آنوى» كله .

«ميديا» عند «آنوى» تعالج موضوعًا من الموضوعات التى يلح عليها «آنوى» وتشغله ، هو هذا الهوى الحسىّ العنيف . ولكن «ميديا» نموذج متميز ، فهى المرأة التى تتعذب لأنها امرأة ، وهى تشقى بأنثويتَها نفسها ، وتتمرد على هذه الأنثويّة . إنها تتوق ، فى عمقٍ مكنون من أعماق نفس المرأة فيها، أن تعود فتصبح ، فى الواقع ، رجلاً . نحن هنا إذن بإزاء علاج درامى نادر لموقف من المواقف التى لم يُكشف عنها، على نحو مستفيض مدروس ، إلاّ فى أعمال علم النفس التحليلى . موقف البنت التى تحسّ بقصورها عن الولد ، وبما ينقصها عنه ؛ إذ تكتشف حرمانها من صولجان الذكورة ، وتتوق إلى المساواة به .

* * *

«ميديا» عند «آنوى» هى المرأة الذئبة التى أُحبِط حبها ، فأثار ذلك عندها كوامن النقص الدفينة ، وإذا هى تتخلى عن دورها الأنثوى السلبى المألوف ، وتتنازل نهائيًا عن حلمها بأن تكون «ميديا» السوية المحبوبة التى تحيا حياة الزواج الطبيعية ، وإذا هى تنقلب – كأنها رجل، كأنها هى أيضًا «چاسون» – چاسون آخر قد تقمصه جسد «ميديا» –

فتصبح عاملاً فعالاً ، إيجابياً ، يسعى إلى الهجوم والافتراس والمبادأة ، ولو كان ذلك يصل بها إلى حد الجريمة الفظيعة المروعة . وبذلك يتحقق انتقامُها الفذّ ، وتتمرد ، في حركة رفض كامل ، على ما كان مقدّراً عليها من البقاء في وضع المرأة ، فهي إذن تكمل النقص الذي كان مفروضًا أن يكمله الرجل ، وتعوّض السلبية التي كان مفروضًا أن يعوضها لها الرجل ، بأن تضرب ، وتدمر ، وتؤثّر ، بيدها ، على مجرى الأحداث ، تأثيراً دراميًا محكمًا .

ولكنها قبل أن تصل إلى هذه الذروة الباهرة ، تمر بتنويعات في غاية الرهافة ، مما يكشف عن نفاذ بصيرة خارق عند «آنوي» المسرحي العتيد . ومن هذه التنويعات التي يجتازها حب «ميديا» في رحلته نحو النهاية ، نشير إلى هذا التكامل بين الرجل والمرأة ، وهـذا الاندماج التام بين الجسدين ، بل هذا التوحد الذي ينصهران فيه مع العالم كله . ثم إذا مرّت هذه المرحلة انتقلنا إلى عشق «ميديا» لذاتها ، وإلى نوع من الجنسية المثلية يفصح عنه حديثُها ، ثم نجد انفجاراً لحسها الحاد المتوهج بقصورها ونقصها أمام الرجل ، ونجد ، قبل النهاية مباشرة ، عودة لا أوْبة منها ، إلى أمنية ساذجة تعرف «ميديا» أنه مقضيٌّ عليها بالحبوط ، أمنية الرجوع إلى مأمنٍ مفقودٍ لا عودة له ، ماضي البراءة الطفليّة الأولى ، الجنّة الضائعة .

فإذا وصلت الفاجعة إلى نهايتها المحتومة، وضربت «ميديا» ضربتها، نجدها عند «آنوي» تذهب إلى الموت ، فليس في الحياة أبداً عوض عن المطلَق ، عن الشيء الذي لا تشوبه لوثة واحدة . والنار هي المطهّر الكامل،

ولا يعود يبقى من «ميديا» إلاّ حفنة من رماد نظيف . إنها لن تعرف أبداً بشاعة الشيخوخة وقذارتها ، ولن تستسلم أبداً للحلول الوسطى ، ولن تقبل أبداً التنازلات الصغيرة التى ينبغى قبولها فى سبيل الراحة ، أو السهولة ، إنها دائمًا على استعداد لأن تلعب اللعبة دون خداع ، حتى النهاية .

هذا هو عالم «چان آنوى» .

الأشخاص

مــيـديا
چاسـون
كِـــرِيَون

المُرضِـع
الصــبى
الحــارس

عند ارتقاع الستار ، ميديا والمرضع على المسرح قاعدتيْن القرفصاء أمام عربةٍ من عربات السفر ، موسيقى وأغان غير مستبينة ، من بعيد . ميديا والمرضع تصغيان .

ميديا : أتسمعينها ؟

المرضع : ماذا ؟

ميديا : السعادة . هائمة .

المرضع : إنهم يغنّون فى القرية ؛ فلعل اليوم عندهم عيد .

ميديا : إننى أمقت أعيادهم . إننى أمقت أفراحهم .

المرضع : لسنا من أهل هذه الناحية .

(صمت)

أما عندنا فالعيد يأتى أكثر تبكيراً، فى يونيو. وترشق البنات أزهاراً فى شعرهن، ويصبغ الفتيان وجوههم بالأحمر، من دمائهم، وفى بكرة الصبح بعد أن تضحى الأضاحى الأولى، مباريات المصارعة. ما أجملهم، فتيان كلوشيد، عندما يتصارعون..

ميديا : اصمتى .

المرضع : وبعد ذلك يروضون الحيوانات الوحشية طيلة النهار. وفى المساء كانوا يشعلون مواقد عظيمة أمام قصر أبيكِ،

مواقد عظيـمة صفراء من أعشاب تعـبق بالشذى النفاذ.
أنسيت أنتِ ياصغيرة، شذى أعشاب بلدنا؟

ميـــديا : اصمتى . اصمتى يا امرأة.

المرضـع : آه. إننى عجـوز. والطريق طويل طويل. . لماذا، لماذا سافرنا ياميديا؟

ميـــديا : (تصيح) سافرنـا لأننى كنت أحب چاسون؛ لأننى من أجله سرقت أبى، لأننى من أجله قـتلت أخى. اصمتى يا امـرأة، اصمـتى. أتظنين من الخـيـر أن يعيـد المرء، ويزيد، قول هذه الأشياء؟

المرضـع : كـان لك قـصر حـيطانُـه من الذهب، وها نحن الآن، قاعدتين القـرفصاء كأننا شحـاذتان، أمام هذه النار التى ماتنى تخبو وتنطفىء.

ميـــديا : فاذهبى هاتى شيئًا من الخشب.

(تنهض المرضع وهى تئن، وتبتعد)

ميـــديا : (تصيح فجأة) اسمعى.

(تعتدل)

(وقع خطى على الطريق)

المرضـع : (تصغى ثم تقول) لا. إنها الريح.

تعود مـيديا فـتقـعد القـرفصاء مـن جديد
تُسمع الأغانى على البُعد من جديد.

المرضع . لا تنتظريه بعد، ياقطتى، فأنت تعـذبين نفسك. لو كان ذلك عيـداً هناك حقّـا، فلابد أنهـم قد دعوه إليـه. إنه يرقص، چاسـون يرقص مع بنات بيـسـلاچ، وها نحن هنا، كلتينا.

ميـديا : (بصوت مكتوم) اصمتى ياعجوز.

المـرضع: صمتٌ.

صمت. تركع المرضع على يديها وقدميها لتنفخ فى النار. تُسمع الموسيقى.

ميـديا : (فجأة) أتشمين؟

المرضع : ماذا ؟

ميـديا : هذا نَتَن السعادة يهبّ حتى هذا المرتفعِ من الأرض. على أنهم قد أنزلونا بعيداً عن قريتهم. كانوا يخافون أن نسرق فراخهم فى الليل.

(تعتدل. تصيح).

مـاذا دهاهم حتى يغنوا ويرقصـوا؟ هل أنا أغنى، هل أرقص؟

المرضع : إنهم فى بلدهم. وقد انقضى نهارهم.

(فترة. تحلم) :

هل تذكرين. كان القصرَ أبيض، فى نهاية الممشىَ الذى تحفُّ به أشجار السروْ، بعد أن يعود المرء من النزهات الطويلة . .

كنت تسـلمين جـوادك لعبْــد، وتلقين بنفـسك على الأرائك. وعندئذ كنت أدعو جواريك فتغتسلين وتلبسين ملابسك. كنتِ السيدة وبنت الملك، ولم يكن هنــاك مـا يعزّ عليك أن تحـصلى عليـه. كـانوا يخرجـون لك الثياب من الصناديق فتختارين، هادئة، عارية، والفتيات يدلّكن لك جسمكِ بالطيب.

ميــديا : أصمـتى يا امرأة، ما أغـباك. أتظنين أننى نادمة لضـياع قصرٍ، وثياب، وعبيد؟

المرضـع : الفرار. الفرار. دائمًا منذ ذلك الحين.

ميــديا : كان باستطاعتى الفرار دائمًا.

المرضـع : مطاردتيْن، مقهورتيْن، نهبًا للازدراء، بلا وطن، بلا بيت.

ميــديا : نهبًا للازدراء، مطاردة، مـقهورة، بلا وطن، بلا بيت، لكنى لست وحيدة.

المرضـع : وتجرّيننى وراءك، فى شيخوختى. فإذا مت، أين تتركيننى؟

ميــديا : فى حـفـرة، فى أى مكان على حـافـة طريق، أيتـهـا العـجـوز، وقـد قـبلت هذا، أنا أيـضـا. لكنى لست وحيدة.

المرضـع : إنه يهجرك ياميديا.

ميــديا : (تصيح) لا.

(تكفّان)

اسمعى.

المرضـع : إنها الريح. إنه العيد. فلن يعود الليلة أيضًا.

مـيـديا : أى عيد ذاك؟ أية سعادة تلك التى يفوح منها، حتى هنا صنان عـرقهم ونبـيذهم الغـليظ وسمكهم المقلى؟ مـاذا دهاكم يا أهل كـورينث حتى تصـيحـوا وترقصـوا؟ أى حدَث بهيجٍ يحدث هذا المساء. فـيهصرنى ، ويخنقنى؟ أيتـها المرضع، أيتـها المرضع، إننى حـبلى هذا المسـاء. إننى موجَعة وخائفة كـما يحدث عندما كنت تساعدينني على شد طفل من داخل بطنى. ساعدينى أيتها المرضع. إن شيئًا يتحرك فى داخلى كما كان يحدث فى المـاضى، وهو شئ يقـول لأفراحهم هناك: «لا». هـو شىء يقول لسعادتهم: «لا».

(تحتضن العجوز، وهى ترتعد)

إذا صـرختُ أيتـها المرضع فـسـوف تضـعين قبـضـتك المضـمومـة على فمى. وإذا تململتُ وتخـبطتُ فـسوف تحتـضنيننى، أليس كذلك؟ لن تتـركينى أتعـذّب وحدى آه، ضمـينى إليك يامرضع، ضمـينى إليك بكل قواك. ضمينى كما كنت تفعلين وأنا صغيرة، كما كنت تفعلين ليلةَ أوشكتُ أن أموت وأنا ألد. أنا الـليلة حُبلى بما هو أضخم منـى، وأكثر حـياة، ولست أعـرف ما إذا كنتُ سوف أقوى على..

صـــبى : (يدخل فجأة، ويقف)، أهذه أنتِ، ميديا؟

مـيـــديا : (تهتف به) نعم. قلْ بسرعة. إننى أعرف.

الصـــبى : چاسون قد أوفدنى.

مـيـــديا : لن يعود؟ جريحٌ هو، قد مات؟

الصـــبى : يقول إنكما قد نجوتما.

مـيـــديا : لن يعود؟

الصـــبى : يقول إنه سوف يأتى، إنه يجب أن تنتظراه.

مـيـــديا : لن يعود؟ أين هو؟

الصـــبى : عند الملك. عند كريّون.

مـيـــديا : سجين؟

الصـــبى : لا.

مـيـــديا : (تهتف ثانية) نعم. أمن أجله هذا العيد؟ تكلْم. هأنت ترى أننى أعرف. من أجله العيد؟

الصـــبى : نعم. من أجله.

مـيـــديا : فماذا فَعل؟ هيا. قلْ بسرعة. لقـد جئتَ جريا، وأنت مضرّج الوجـه بالاحمرار، وتتعجل العـودة. يرقصون، أليس كذلك؟

الصـــبى : نعم.

مـيـــديا : ويشربون؟

الصبى : ستة براميل مفتوحة أمام القصر.

ميديا : والألعاب والصواريخ والبنادق التى تنطلق كلها مرةً واحدة إلى السماء. بسرعة، بسرعة أيها الصغير، فتكون قد لعبت دورك، ويكون في استطاعتك أن تعود هناك وتنال حظّك من المتعة. لستَ تعرفنى أنت. فماذا يهمك هذا الذى سوف تقول لى؟ ولمَ يخيفك وجهى؟ أتريدنى أن أبتسم؟ هأنذا أبتسم. ثم أنه خبر طيب ماداموا يرقصون. فلتقله بسرعة أيها الصغير، مادمت أعرف أنا.

الصبى : إنه يتزوج.. كريّوز، بنت كريّون. والقران غداً صباحًا.

ميديا : شكراً أيها الصغير. اذهبِ فارقص الآن مع فتيات كورينث. أرقصِ بكل قواك. أرقص طيلة الليل. وعندما تشيخ تذكّر أنك أنتَ الذى جئت تقول لميديا.

الصبى : (يخطو خطوة) فماذا يجب أن أقول له؟

ميديا : لمن؟

الصبى : چاسون.

ميديا : قل له إننى قلت لك: شكراً.

(يذهب الصبى)

ميديا : (تصيح فجأة): شكراً ياچاسون. شكراً ياكريون. شكراً أيها الليل. شكراً لكل شىء. شد ما كان ذلك بسيطًا يسيراً. لقد خلُصت...

المرضع : (تقترب) يانسرى الفخور، ياصقرى الصغير . .

ميديا : دعك من هذا يا امرأة. لم أعد بحاجة إلى يديك. جاء طفلى وحده. وهى بنتٌ هذه المرة. أيتها الكراهية التى لى، شد ما أنتِ جديدة. ما أشد نعومتك، وما أذكى عبيرك. أيتها البنت الصغيرة السوداء، هأنذا لم يعد لى ما أحبه فى العالم إلاك.

المرضع : تعالى ياميديا.

ميديا : **(قامت واقفة مشدودة القامة، ذراعاها تضمان صدرها)** دعينى. إننى أصيخ السمع.

المرضع : دعيهم وموسيقاهم. فلنأوِ للفراش.

ميديا : لم أعد أسمعها. إننى أصغى إلى كراهيتى. . يا للعذوبة. يا للقوة التى كانت قد ضاعت. ماذا كان قد فعل بى، يا مرضع، بيديه الكبيرتين الساخنتين؟ كان حسبه أن يدخل قصر أبى، وأن يضع إحدى يديه علىّ. عشر سنوات انقضت وها هى ذى يد چاسون تتركنى. فأجد نفسى من جديد. أكنت أحلم؟ هذه أنا. هذه ميديا. لم تعد بعد هذه المرأة المتعلقة برائحة رجل، هذه الكلبة الراقدة التى تنتظر. يا للعار . يا للعار. إن خدىّ ملتهبان يا مرضع. كنت أنتظره طيلة النهار. ساقىّ مفتوحتان، وأنا مبتورة الأوصال. . باتضاع، هذا البِضع

مني الذى كان باستطاعته أن يعطيه وأن يعود فيأخذه، وسط بطنيِ هذا الذى كان يملكه. . كان ينبغى أن أطيعه وأن ابتسم له وأن أتزوق حتى أُدخل عليه السرور فقد كان يتركنى كل صباح، ويأخذنى معه، وما كان أسعدنى أن يعود فى المساء ليردنى إلى نفسى. كان ينبغى أن أعطيه فَرْو الكبش الذهبى ذاك مادام يريده، وأعطيه كل أسرار أبى، وأن أقتل أخى من أجله، وأن أتبعه فى فراره، بعد ذلك أتبعه، مجرمة، فقيرة معه. فعلتُ كل ما كان ينبغى فعله، هذا كل شئ، وكان باستطاعتى أن أفعل المزيد. أنت تعرفين ذلك كله يا امرأة. أنت أحببته أنتِ أيضًا.

المرضع : نعم يا ذئبتى.

ميديا : مبتورة الأوصال. . أيتها الشمس، إن كان حقًا أننى سليلتكِ فلماذا جئتِ بى مبتورة الأوصال؟ لماذا جئتِ بى بنتًا؟ ولم هذان النهدان، وهذا الوَهَن، وهذا الجرح المفتوح فى وسطى؟ ألم يكن ميديا الصبى ليصبح جميلاً؟ وقويًا؟ جسمه صلب كالحجر ، مصنوعٌ بحيث يأخذ ثم يمضى ، قوى العزم ، سليمًا كاملاً لم يُنتقص منه شيء. آه، كان باستطاعته أن يأتى عندئذ، چاسون، بيديه الكبيرتين المَخُوفتين، كان باستطاعته أن يحاول

وضع يديه عـلىّ، سكّين، سكّين فـى يد كل منهـا -
نعم. - والأقوى منّا يقـتل الآخـر ويمضى وقد خَلُص.
لا ذلك الصراع الذى لم أكن أريد فيه إلا أن ألمس كتفيه ،
لا ذلك الجرح الذى أتضرع إليه أن يُحدثه فىّ. امرأةٌ ما،
امـرأةٌ كلبـة . لحمٌ مـصنوع من قـلـيلٍ من الطين ومن
ضلع رجل. بضعٌ من رجل. داعرة.

المرضـع : (تقبّلها) لست أنت. لست أنت. يا ميديا.

مـيـديا : أنا كالأخريات . أكثر جبناً، وأشد انفتاحًا من الأخريات،
عشـر سنوات. لكن ذلك قد انقضى الـليلة يا مرضع،
ولقد عدتُ ميديا. ما أطيب ذلك! .

المرضـع : هدئى من روعكِ يا ميديا.

مـيـديا : إننى أهدىء من روعى. إننى رقيـقة عذبة. أتسـمعين،
شد مـا أنا عذبـة يا مرضـع، وكم أتكلم بعـذوبة.
إننى أموت. إننـى أقتـل، بكل عذوبة، فـى دخيلتى.
إننى أختنق.

المرضـع : تعالى. أنتِ تخيفيننى، فلنأوِ للفراش.

مـيـديا : أنا أيضاً، أنا خائفة.

المرضـع : ماذا يفعلون بنا الآن؟

مـيـديا : يا له من سـؤال. إنما ينبغى أن نتـساءل ماذا نفـعل بهم
أيتها العجوز. إننى خـائفة أيضاً، لكننى لست أخاف من

موسيقاهم، ولا من صيحاتهم، ولا من مَلِكهم الأجرب، ولا من أوامرهم - وإنما من نفسى. چاسون، كنت قد أنمتَها، وها من ذى ميديا تستيقظ. أيتها الكراهية. أيتها الكراهية. أيتها الموجة الكبيرة الخيِّرة، أنت تغسلينني، فأولد من جديد.

المرضع : سوف يطردوننا يا ميديا .

ميديا : ربما.

المرضع : أين نذهب؟

ميديا : سيكون لنا دائمًا بلد، يا امرأة، فى هذه الناحية من الحياة أو فى الناحية الأخرى، بلد سوف تكون فيه ميديا مَلكة. يا مملكتى السوداء، لقد رددتِ إلىّ.

المرضع : (تتوجع) سوف يلزم أن نحزم كل شىء من جديد.

ميديا : سوف نحزم يا عجوز، فيما بعد.

المرضع : فيما بعد ماذا؟

ميديا : أتسألين؟

المرضع : ماذا تريدين أن تفعلى ياميديا؟

ميديا : ما فعلت من أجله عندما غدرت بأبى. عندما تحتم علىّ أن أقتل أخى حتى أفرّ، ما فعلت ببيلاس العجوز عندما حاولت أن أجعل من چاسون ملكًا على جزيرته،

مـافعلت عـشـر مرات من أجلـه، لكنه من أجلى هذه المرة، أخيراً.

المرضـع : أنت مجنونة، لا تستطيعين.

مـيـــديا : ما ذاك الذى لا أسـتطيع يا امرأة؟ أنا مـيديا. وحـيدة، بمفردى، مـهجـورة أمام هذه العربة، علـى شاطىء هذا البحر الغريب، مطرودة، مجلَّلة بالعار مكروهة، إلا أنه ليس هناك ما يعزّ علىّ أن أحصل عليه.

(ترتفع الموسيـقى من بعيد. فـيرتفع صوت ميديا عليها)

مـيـــديا : فليـغنّوها، فليسـارعوا بغنائهـا، أغنية زواجـهم تلك. وليزوقوها سراعا، تلك المخطوبة، فى قصرها. فما زال هناك وقت طويل حـتى يأتى الغـد. حـتى يأتى حـفل القران. . آه چاسـون، ومع ذلك فأنتَ، تعـرفنى، أنت تعرف أية عذراء تـلك التى أخذتَها فى كلوشيـد. فماذا كـان بوسـعك أن تظن؟ أظنـنتَ أننى سـوف آخـذ فى البكاء؟ لقد تبعتك فـى الدم وفى الجريمة، وسوف ينبغى لى دمٌ وجريمة حتى أتركك.

المرضـع : **(تلقى بنفـسها عليـها)** اصمتى، اصـمتى أتوسل إليك، ادفنى شكواك فى أعـمـاق قلـبك، ادفنى كـراهيـتك. تشددى. إنهم الليلةَ أقوى منا.

ميديا : وفيما يهم ذلك يامرضع؟

المرضع : سوف تثأرين لنفسك ياذئبتى، سوف تثأرين لنفسك ياصقرى. سوف توقعين بهم الأذى يومًا، أنتِ أيضًا، لكننا هنا لا شيء. غريبتان، فى عربتهما مع حصانهما العجوز، لِصتّا فراخ يرميهما الصبية بالأحجار. انتظرى يومًا انتظرى سنةً ، سرعان ما تصبحين الأقوى.

ميديا : أقوى من الليلة؟ أبدًا.

المرضع : ولكن ماذا تستطيعين فى هذه الجزيرة المعادية؟ إن كولشوس بعيدة. وقد طردتكِ كولشوس نفسها. وچاسون يهجرنا الآن أيضًا. فماذا يبقى لكِ؟

ميديا : أنا..

المرضع : يامسكينة. إن كريون مَلِك، وهم لم يسمحوا ببقائنا على هذه الأرض إلا لأنه أراد ذلك. فليقل كلمة، فليتح لهم ذلك، فإذا بهم هنا جميعًا، بخناجرهم وعصيّهم. سوف يقتلوننا.

ميديا : (بصوتٍ خافت) سوف يقتلوننا. ولكن بعد فوات الأوان.

المرضع : (تلقى بنفسها تحت قدميها) ميديا ، إننى عجوز، لست أريد أن أموت. لقد تبعتك، لقد تركت كل شئ من أجلك. لكن الأرض مازالت زاخرة بالأشياء الطيبة،

الشـمس على المقعـد عند الوقوف أثناء السـفر، الـهواء السخن فى الظـهر، وقطع النقد الصـغيرة الـتى كسبـها المـرء، فى يده، وقطرة الخـمر التى تدفىء القلـب قبل النوم.

مـيـديا : (تدفعها بـقدمها، بازدراء) ياحطام. كنتُ أريد الحياة أنا أيضـا، بالأمس، لكن الأمـر الآن ليس أن نحيـا أو أن نموت.

المرضـع : (متشبثة بساقيها) أنا أريد أن أعيش ياميديا. . !

مـيـديا : أعرف. تريدون جمـيعا أن تعيـشوا. ولأن چاسون يريد أن يعيش أيضا فهو يمضى.

المرضـع : (وضيعـة حقيرة فـجأة) أنتِ لم تعودى تحبـينه ياميديا. أنتِ لم تعودى تشتهينه منذ زمن طويل. المرء يعرف كل شىء، فنحن مكوّمون جميعًا فى هذه العربة. قال لكِ، أولاً، إنه يشعر بالحرّ في ذات مساء، وإنه يريد أن يضع حشيته فى الخارج. فتركـتهِ يفعل وسمعتكِ تتنهدين من الراحة. وأنتِ تتمددين ليلتـها، لأنكِ أخذت السرير كلّه لك وحدك. الواحدة تقتل من أجل رجل مازال يأخذها إليه لا من أجل رجل تتركه الواحدة يخرج فى الليل من سريرها.

ميــديا : (تأخذ بخناقها وترفعها بـوحشية حتى وجههــا) حذار يا امرأة. أنتِ تعــرفين أكـثر مما ينبغـى وتقــولين أكـثر مما ينبغيِ. لقد رضعتُ لبنك، حسنًا، واحتملت نواحك. لكنّ ميـديا لم يشتد عـودها على اللبن، كمـا تعرفين. ولست مـدينةً لكِ بأكبـر من دينى للمرأة التى كـان من الممكن أن أرضع لبنهـا بدلاً منك. فاسمـعى إذن، لقد قلت لى أكثر مما ينبغى، حطـامك البالى العتيق، وقطرة خمرك، وشـمسك على لحمك المتعـفن.. إلى مواعين مطبخك ياعجوز، إلى مكنستك، إلى تـقشير خُضَرك، مع الأخريات من جنسـك. فاللعبـة التى نلعبهـا ليست لكُن. فإذا متِنّ فيها، دون انتبـاه ودون أن تفهمن شيئًا، فهذا شيء يؤسف له، ولكن هذا كل شيء.

(ترميهــــا بوحـشيةٍ على الأرض)

المرضـع : (فى تلك اللحظة تصيح العجوز)

حذار ياميديا، هناك من يأتى.

(تستدير ميديا. كريون أمامها، يحيط به رجلان أو ثلاثة)

كــريّون : أهذه أنت ميديا؟

مــيــديا : نعم.

كــريون : أنا كريّون. ملك هذه البلد.

ميـــديا : تحية.

كـــريون : جاءت حـكايتك - حتى بلغـتنى. إن جرائمـك معـروفة هنا. والنسـوة هنا يحكينـها فى المسـاء لأولادهن حـتى يُخِفْـنهم بها، كـما يحدث ذلـك فى جميع جـزائر هذا الساحل. لقد سمحتُ لك بالإقامة بضعة أيام على هذه الأرض، مع عربتك. ويجب الآن عليك أن ترحلى.

ميـــديا : ماذا فعلـتُ لأهل كورينث؟ هل سطوتُ على دواجنهم؟ هل وقعتْ بهـائمهم فريسة للمـرض؟ هل وضعتُ السم فى ينابيع مياههم إذ مضيت أستقى منها مياه غذائى؟

كـــريون : لا شيء بعد، لا. وإن كان بوسعك أن تفعلى ذلك كله يومًا. اذهبى من هنا.

ميـــديا : كريّون. إن أبى أيضًا مَلِك.

كـــريون : أعرف. فاذهبى إلى كولشوس قدمى شكواك.

ميـــديا : فليكن . سوف أعـود إليها. ولن أخيف أمـهّات قريتك زمنًا طويلاً بعـد، ولن يسطو حصـانى على الأعـشاب النادرة فى أرضك. سوف أعود إلـى كولشوس على أن يعود بى إليها ذلك الذى أخذنى منها.

كـــريون : ماذا تقصدين؟

ميـــديا : أعِدْ إلىّ چاسون.

كـــريون : چاســون ضيـفى، وابن ملِك كان صــديقى، وهـو حرٌ فيما يفعل.

مـيـــديا : لمـاذا يغنون فى قريتك؟ ولـم طلقات النار هذه فى السماء وهذه الرقصات وهذا النبـيذ الذى يُوَزَّع؟ فإن كانت هذه هى الليلة الأخـيرة التى يمنحنى فيــها أهلك الكورنْثِـيون الطيبون أن أبيتها هنا، فلِم يحولون دونى والنوم.

كـــريون : جئت أقــول لكِ هذا أيضًا. الليلة يُحـتفل بزواج بنتى. سوف يتزوجها چاسون من الغد.

مـيـــديا : حياة مديدة، وهناء مديدًا لكليهما.

كـــريون : لن يكونا بحاجة إلىَ تمنياتك.

مـيـــديا : ولم ترفـضــها ياكـريون؟ ادعُنى أنا أيضــا إلى الفــرح. قدمنى إلى بِنتك. ففى وســعى أن أكون ذات غَنَاءٍ لها، أتعرف هذا؟ فأنا امرأةُ چاســون منذ عشر سنوات، وفى استطاعتى أن أعلّمها الكـثير، هى التى لا تعرفه إلا منذ عشرة أيام.

كـــريون : وحتى لاتتـحقق مثل هذه الفـضيحة قـررت أن تبارحى كورينث منذ الليلة. ألجـمى حصانك ، احزمى مـتاعك لديك ساعة تكونين بعدها قـد جاوزتِ الحدود. وسوف يقودك هؤلاء الرجال.

ميـــديا : فإن أبيت أن أتحرك؟

كـــريون : أولاد بيليـاس العـجـوز الذى قتـلتِه غـيلةً قـد طالبـوا برأسك. كل ملوك هذا السـاحل، إن بقـيتِ، سلمـتك لهم.

ميــديا : إنهم جيرانك. وهم أقوياء. وأنتـم المـلوك تتبادلون مثل هذه الخدمات. فلم لا تفعلها على الفور..؟

كـــريون : سألنى چاسون أن أسمح لكِ بالرحيل.

ميــديا : يا لچــاســون الطـيب. يجب أن أقـول شـكرًا، أليس كذلك؟ أتتـصورنى فريســة بين يدى التيـساليين فى يوم زواجه؟ أتتصورنى أمام المحكمة، على بعد فراسخ قليلة من كـورينث، وأنا أقـول بأعلى صوتى فـى سبـيل مَنْ أَمَرتُ بقـتل بيليـاس؟ فى سبـيل الصهـر، أيها القـضاة الطيبون، فى سبيل الصهر المكرَّم المحتفَى به الذى أصهر إليه هذا الملك الطيب الجـار الذى تحتفظون مـعه بأطيب العَلاقـات الممكنة.. أنتَ تمارس مهنة المـلوك بكثـيرٍ من الطيش ياكـريون. لقـد أتيح لى الـوقت أن أتعلّم، فى قـصـر أبى، أنه لـيس هكذا تَحكُم المـلـوك. فلتـأمـر بقتـلى على الفور.

كـــريون : (بصوت مكتوم) كان ينبغى علىَّ أن أفعل. لكنى وعدتُ بأن أسمح لكِ بالرحيل. أمامك ساعة من زمان.

ميديا : (تغرس قدميها في الأرض بمواجهته) كريّون، أنت شيخٌ عجوز، أنت ملِكٌ منذ زمان طويل. كفاكَ ماقمت به من أعمال المطبخ الوضيعة. انظرْ إليَّ في عينيَّ، ولتعرفني. أنا ميديا. بنت إياتيس الذي أمر فذُبح الكثيرون، عندما كان الأمر يقتضي ذلك، والكثيرون منهم أنصعُ براءةً مني، أؤكد لك. إنني من جنسك. من جنس أولئك الذن يقضُون، ويقررون الأمور، دون أن ينكصوا على أعقابهم بعد ذلك ودون ندمٍ أو تأنيب ضمير، أنت، لا تسلك سلوك ملك ياكريّون. فإن كنت تريد أن تعطى چاسون ابنتَك فلتأمر بقتلي على الفور مع العجوز والولديْن اللذين ينامان هناك، والحصان. فلتحرق ذلك جميعًا على هذه الأرض، على يد رَجليْن يُوثَق بهما. ولتشتت الرماد بعد ذلك تشتيتا. حتى لا يبقى من ميديا إلا بقعةٌ سوداء كبيرة على هذا العشب، وحكايةٌ تخيف أطفال كورينْث في المساء.

كريون : لِمَ تريدين أن تموتى؟

ميديا : ولمَ تريدنى أن أعيش الآن؟ لا أنتَ ولا أنا ولا چاسون يهمه أن أبقى على قيد الحياة فى مدى ساعة من زمان، كما تعرف ذلك حق المعرفة.

كـــريون : (يأتي بحركة، يقول فـجأةً بصوت مكتوم) لم أَعُدْ أُحب الدماء.

مـيـــديا : (تصرخ به) فأنت قـد شختَ وطعنتْ بك السنّ عن أن تكون مَلكًا. فلتضع ابنك في مكانك إذن، حتى ينهض بالعمل كـما ينبـغي النهوض به، واذهب لتـرعى كروم عنبك في الشمس. فلم يعد فيك غناء إلاّ لهذا.

كـــريون : يامتكبرة. ياحقـوداً ثائرة. أتظنين أنني جئت ألقاكِ هنا، لأسمع منك النصيحة؟

مـيـــديا : لم تأتِ تطلب النـصيـحـة. لكنني أسـديك إياها. هذا حقي. وحقك أن تأمر بإخـراسي، إن بقيتْ لديك القوة أن تفعل. هذا كل شيء.

كـــريون : وعدت چاسون أن ترحلي دون أن يلحقك ضُرّ.

مـيـــديا : (متـضاحكة) دون أن يلحقني ضرّ. لن أرحل دون ضرّ كمـا تقول. ذلك رائع ألاّ يلحقني ضُـرّ، فوق الصفْـقة أيضا. فلأمـحونّ نفسي. فلأقـضينّ على نفسي. ظلٌّ، ذكـرى، خطأٌ يؤسف له، ميـديا هذه التي جـرّها وراءه عشر سنوات. ذلك حلم من أحلام چاسون، كلّ ذلك. بوسعه أن يخفيني، أن يواريني وسط حرسك في قصرك، أن يدفنَ نفسه في براءة بنـتك، وأن يغدو مَلك كورينث عند موتك، على أنه يعـرف أنّ اسمه واسـمي مرتبطان على مَدَى القرون. چاسـون- ميديا. لا انفصـال بينهما

بعد. اطردنى. اقتلنى، ذلك سواء. بنتك تتزوجنى إذ تتزوجه، أردتَ أم لم ترد، أنت تقبلنى معه.

(تصرخ به)

كريّون، كن مَلكا. افعل ما ينبغى أن تفعل. اطرد چاسون. جرائمى نهض هو بنصفها، واليدان اللتان سوف تمسّان جلد بنتك حمراوان مضرّجتان بالدم عينه. أعطنا ساعة، أقلّ من ساعة، لنا كلينا. فقد ألفنا أن نهرب معًا، بعد كل ضربةٍ من ضرباتنا. أما حزْم المتاع فهذا شىءٌ يتمّ بسرعة ، أؤكد لك.

كريون : لا. ارحلى وحدكِ.

ميديا : (بصوت خافت فجأة) كريّون، لن أتوسل إليك بعد. فلستُ أستطيع. ركبتاى لا تستطيعان الانثناء، ولاصوتى بوسعه أن يكون متّضعًا، لكنك إنسان، مادمت لاتستطيع أن تحسم أمر موتى. فلا تتركنى أرحل وحدى، أعدْ للمنفيّة سفينتَها، أعدْ إليها رفيقها. لم أكن وحيدةً عندما جئت، فلمَ التفرقة الآن بيننا؟ من أجل چاسون قتلتُ بيلياس. وغدرتُ بأبى، واغتلْتُ أخى البرىء فى فرارى. إننى له، إننى امرأته، وكلّ جريمة من جرائمى له.

كـــريون : أنتِ تكذبــين. لقد فـحصتُ كـل شىء. چاســون، من غيرك، برىء، وقضيّـته يمكن الدفاع عنها إذا فُصلت عن قضيتــك. أنتِ وحدك ألحقـــتِ القَذَر بنفسك. . إن چاسون من قـومنا، وابن أحد ملوكنا، ولعل شـبابه كان طائشًا أهوج كالكثيرين غيره، لكنّه الآن رجل يفكر تفكيرنا. أنتِ وحدكِ تأتين من بعيد، أنت وحدكِ غريبةٌ هنا، بأعمالك الشريرة، وكراهيتك. عودى إلى قوقازك ولتجدى رجلاً من جنسك متوحشًا مثلك، واتركينا تحت سماءِ العقل هذه، على شاطىء هذا البحر الساجى الذى لا شأن له بعواطفك المضطربة وصيحاتك.

مـيـــديا : (بعـد فـتـرة) حـسنًا، سـأرحل. ولكن ولدىّ، من أىّ جنسٍ هُما؟ أمن جنس الجريمة أم من جنس چاسون؟

كـــريون : فكَّر چاسون أنهما لن يكونا إلا عقـبة فى سبيل فرارك. فاتركيهما لنا. سوف يشبّان فى قصرى. وأعدك برعايتى لهما.

مـيـــديا : (بصـوت خـافت) يجب على أن أقـــول مـرة أخـرى «شكرًا». أليس كـــذلك؟ أنتم إنســانيـون أيـضًـا، أنتم عادلون جميعًا، لا كراهيةَ عندكم.

كـــريون : احتفظى بشكرك، ارحلى. الـوقت يجرى وعندما يرتفع القمر فى السماء فلن يحميك هنا شىء. لقد أُصدِر الأمر.

ميديا : مهما كان هذا القوقاز الذى آتى منه متوحشًا وغريبًا ومهما كان وعرًا جافيًا فإن الأمّهات هناك يحتفظن بصغارهن يا كريّون، يضعنهم إلى جنوبهن كغيرهن من الأمّهات. إن وحوش الغاب تفعل ذلك أيضا. . إنهم ينامون هناك. هذه الصرخات، هذه المشاعل فى الليل، هذه الأيادى التى لا يعرفونها تأخذهم وتنتزعهم منى، لعل ذلك كثير فى مقابل جرائم أمهم. أعطنى إياهم حتى الغد. سأوقظهم فى الصباح، كالمعتاد وأرسلهم إليك. صدِّقْ ميديا، أيها الملك. وما يكادون يستديرون فى منعطف الطريق حتى أكون قد رحلت.

كريون : (ينظر إليها لحظة بصمت ثم يقول فجأة) فليكن.

(يضيف بصوت مكتوم دون أن يرفع عنها بصره).

أنت ترين أننى شيخ. إن ليلة راحة كثيرٌ عليكِ. إنها فترة زمان تكفى لعشر من جرائمك، كان ينبغى علىّ أن أرفض رجاءك ولكنى قتلتُ كثيرًا، ياميديا أنا أيضا. وفى القُرَى التى قهرتُها حيث كنت أدخل على رأس جنودى السُّكارَى، قتلتُ كثيراً من الأطفال. . وسأعطى القدر ليلةً هادئة يقضيها هذان الطفلان، فى مقابل ذلك. فليُفِدْ القدرِ من ذلك، إن شاء، حتى يقضى بهلاكى.

(يخرج، يتبعه رجاله. ما أن يخرج
حتى يكتسب وجه ميديا حياةً،
وتصيح به بكلّ قواها، وهى تبصق
فى اتجاهه).

ميديا : فلنعتمد على ذلك ياكريّون، فلنعتمد على ميديا، يجب أن نساعد القدر قليلاً، تثلمت مخالبك أيها الأسد العجوز، مادمتَ قد بلغ بك أن تترجّى وتتوسل، أن تفتدى حياة طفلين صغيرين ميّتين. آه.. أنت تريد أن تتركهما ينامان، هذا الطفلان، لأن شيئًا ما يدغدغك فى جوفك عندما تفكّر فى المساء، فى قصرك الخاوى، بعد العشاء، فى كل أولئك الأطفال الذين قتلتهم. تلك معدتك تتململ أيها الوحش العجوز، وليست شيئًا آخر. فلتأكل الخُضَر المسلوقة، ولتتناول السفوف والعقاقير، ولتداخلْ قلبكَ الرقةُ شفقةً على نفسك أنت الخيِّر الطيِّب، كريّون العجوز الذى يعرف نفسه حق المعرفة، وإن كان مع ذلك قد ذبح كفايته من الأبرياء عندما كانت له أنيابه القوية وأوصال جسمه المفتولة العضل. الحيوانات تقتل الذئاب الهَرِمة حتى تقيها هذه النكسات إلى الوراء، ورقة القلب الأخيرة هذه. لا تأملنّ أن يوضع لك ذلك فى الحساب. أنا ميديا أيها التمساح العجوز. إن ميزانى دقيقٌ أنا، إذا جازت

الخدعة على الآلهة، أما أنا فلى خِبْرةٌ بالشر والخير. وأنا أعرف أنّ المرء يدفـع نَقْدًا، وأن كل شيء مبـاح. وعلى المرء أن يخدم نفسه بنفـسه دون إمهال، ومادام دمك الذى سرتْ إليـه البرودة، وغُدَدُك التى تسلل إليهـا الموت قد جَبنت بك، فأعطِنى هذه الليلة، فسوف تدفعنّ.

(تصيح بالمرضع)

إلى حُزمك ومَـتاعك أيتهـا العجوز. أدخِلى مـواعينك ولفّى الملاءات، واربطى الحـصان بالعـربة. سنرحل فى مَدَى ساعة.

چاسون : (يظهر) أين تذهبين؟

مـيـديا : (تواجـهـه) إننى أهرب ياچاسـون إننى أهرب.. ليس جديدًا علىّ أن أُغـيرّ موطن إقـامتى، إنما الجـديد سبب فرارى، فقد كنت أهرب من أجلك حتى الساعة.

چاسون : جئت وراءهـم. وانتظرت أن يبتعدوا حتى أراكِ وحدك.

مـيـديا : ألديك ما تقوله لى بعد؟

چاسون : أتشكيّن فى هذا. ينبغى لى أن أسمع ماتريدين أن تقوليه لى أنتِ، على أى الأحوال، قبل أن ترحلى.

مـيـديا : ألا تخاف؟

چاسون : بلى.

ميـــديا : (تذهب إليه برقة وتقـول فجأة) دعنى أنظر إليك.. لقد أحببتك. عشـر سنوات كنت أرقد بجانبك. هل شِخْتُ أنا، مثلك، ياچاسون؟

چاسون : نعم.

ميـــديا : إننى أراك واقفًا أمـامى، كما تقف الآن، فى تلك الليلة الأولى فى كولشيـد. ذلك البطل الأسمر الذى هبطِ من قـاربه، هذا الـطفل المدلل الذى كـان يـريد ذهب فَـرْو الكبش، وما كان ينبـغى أن ندعه يموت. أكان ذلك هو أنتَ، فيما تظن؟

چاسون : نعم. أنا.

ميـــديا : كان ينبغى لى أن أتركك تذهب فتـواجه الثِيران وحدك. وحدك أمام العمالقة المنبثقة من جوف الأرض، مدججةً بالسلاح، أمام التنين الذى كان يسهر على حراسة الفرو الذهبى.

چاسون : ربما.

ميـــديا : وكنت ستموت. كم كان العالـم يصبح سهلاً، من غير چاسون.

چاسون : عالم من غير ميديا. حلمت بذلك أيضا.

ميـــديا : لكن هذا العالم يحتوى چاسون ومـيديا معًا، وينبغى أن نأخذه على عـلاته. ومهما طلبت النجـدةَ من حَمِيك،

وأمرت أن يقودنى رجاله إلى الحدود، فإن بحراً أو اثنين ليس بالكفاية ليفرّق بيننا، كما تعرف. لماذا حُلْت دونهم وأن يقتلونى؟

چاسون : لأنكِ كنتِ امرأتى زمنًا طويلاً ياميديا؛ لأننى كنت قد أحببتك.

ميديا : ولم أعد امرأتك، لم تعد تحبنى؟

چاسون : لا.

ميديا : چاسون السعيد الذى خلص من ميديا. أحُبّك المباغت لهذه البطة الصغيرة من كورينْث، لرائحتها الفتيّة الحامضة، لُركبتيها المضمومتين، رُكْبتىْ البنت العذراء أذلك هو الذى خلّصك؟

چاسون : لا.

ميديا : فماذا إذن؟

چاسون : أنت.

(فترة يواجهان أحدهما الآخر. يترامقان).

(تصيح به فجأة).

ميديا : لن تخلص أبدًا ياچاسون. ميديا زوجتك أبد الدهر. بوسعك أن تأمر فتنفينى من الأرض، بوسعك أن تكتم أنفاسى الآن، فلا تعود تسمع صيحاتى، لكن ميديا لن تخرج أبدًا أبدًا من ذاكرتك. انظرْ إليه، هذا الوجه الذى

لا تطالع فـيه إلا الكراهيـة، انظر إليه بكراهيـتك أنت،
الحقد والزمن بمقدورهمـا أن يشوّهاه، والرذيلة بمقدورها
أن تحفر فيه آثارها، وسوف يصبح يومًا وجهَ امرأةٍ عجوز
وضيعة يـستفظعه الجميع، لكنك أنت سـتظل تطالع فيه
وجهَ ميديا حتى نهاية الدهر.

چاسون : لا، سوف أنساه.

مـيــديا : أتظن ذلك؟ ستذهب تعبّ من عـيونٍ أخـرى، وتمص الحياة من على شفاه أخرى وتنال متعتك الصغيرة، متعة الرجـال، حيـثمـا استـطعت. أوه. ستكون لك نسـاء أخريات. فلتطمئن. ستكون لك الآن ألف امرأة أُخرى، أنت الذى لم يكن بوسـعك أن تطيق البقـاء على عـهد امرأةٍ واحدةٍ فحسب. لن تفرغ أبداً مع ذلك من البحث عن هذا الومـيض فى أعـينهنّ، عن هـذا المذاق على شفاههنّ، عن ذلك العبق فيهن، عبق ميديا.

چاسون : كلّ ما أريد الفرار منه.

مـيــديا : رأسك، رأسك القذر، رأس رجل، عـساه يريد الفرار، لكن يديك الزائغـتين سوف تبـحثـان بالرغم منك، فى العتمـة، على هذه الأجساد الغريبة، سوف تبـحثان عن قامة ميديا المفقودة، وسوف يقول لك رأسُك إنهن أصبىَ أو أجمل ألف مرة، فـلا تغمض عينيك عندئذ ياچـاسون،

ولا تفقد زمام نفسك لحظةً واحدة، يداك العنيدتان سوف تبحثان، بالرغم منك، عن مكانهما على امرأتك. ومهما حاولت أن تأخذ منهن فى النهاية من يشبهننى، ميديات جديدة فى فراشك، أنت الشيخ العجوز، عندما لا تعود ميديا الحقيقية أكثر من زكيبة قديمة من الجِلْد مليئة بالعظام، شاهت حتى لم تعد تُعرف، إلاّ أنه يكفى عندئذ أن تقع على نحافة لا تكاد أن تُلحَظ على الفخذين، على عضلة أقصر أو أطول، حتى تعود يداك يدىْ فتىً شاب، فى طرفىْ ذراعيك العجوزين، فتتذكران وتندهشان إذ لا تجدان ما تطلبانه، اقطعْ يديك ياچاسون، اقطعْ يديك على الفور، استبدل بهما غيرهما إن شئتَ أن تعشق أيضا.

چاسون : أتعتقدين أننى أتركك بحثًا عن حب آخر؟ أتعتقدين أن ذلك سعيًا للبدء من جديد؟ لم يعد ما أمقته هو أنتِ وحدك، بل أمقت الحبّ.

(فترة. يترامقان)

ميديا : أين تريدنى أن أذهب؟ إلى أين تطردنى؟ أذهب إلى بلاد فاز، إلى كولشيد، إلى المملكة الأبوية، إلى الحقول الغارقة فى دم أخى؟ أنت تطردنى. فإلى أى أرض تأمرنى بالمسير، من غيرك؟ أىّ بحار حُرّة؟

مضايق الجسر حيث مررتُ خلفك، وأنا أخادع وأكذب وأسرق من أجلك؟ ليمنوس حيث لاشك أنهم لم ينسونى بعد؟ تيساليا حيث ينتظروننى ليثأروا منى لأبيهم المقتول من أجلك؟ كل الطرق التى فتحتُها لك أغلقتها أمام نفسى. أنا ميديا مثقلة بالفظائع والجرائم. بوسعك ألاّ تعود فتعرفنى، لكنهم هم مازالوا يعرفوننى، ياله من شىء محرج مُربك، هيه، شريكٌ فى الجريمة قديم؟ كان ينبغى أن تتركنى أُقْتَل، كما ترى.

چاسون : سوف أنقذك.

ميديا : سوف تنقذنى؟ مَنْ تنقذ؟ هذا الجلد البالى، جثة ميديا هذه التى لا غناء فيها إلا أن تجرّها فى مللها وكراهيتها، حيثما اتفق؟ قليل من خبز وبيت فى مكان ما، حيث تشيخ، أليس كذلك، فى صمت، حتى لا يعود أحد يسمع عنها خبراً، فى آخر الأمر، لماذا تجبن ياچاسون؟ لم لا تذهب حتى النهاية؟ ليس هناك إلا مكان واحد، مقام واحد، سوف تصمتُ فيه ميديا، آخر الأمر، هذا السلام الذى تريد أن يتوفر لى حتى أستطيع الحياة، أعطنى إياه. اذهبْ فقلْ لكريّون أنك تقبل. لن تكون إلا دقيقة صغيرة لا يشق مرورها. لقد قُتلتْ ميديا اليومَ بالفعل، كما تعرف؛ تماماً. ميديا قد ماتت؛ فما هو

القليل من دمِ ميديا أيضا؟ بركة من الدم تُغسَل من على الأرض، مسخٌ مضـحك شائه متصلّب فـاغرفاه فظيع، سوف يُخـفى فى حفرةٍ فى مكانٍ مـا. لا شىء. أكملْ ياچاسـون. لـم أعـد أستطيع الانتظـار. اذهب فـقل لكريون.

چاسون : لا.

مـيـــديا : (بصوت أخـفض) لم؟ أتظن أن عضلـة تُمزق أو جلداً يُشقّ ليكون أكثر مما يحدث الآن.

چاسون : لست أريد مـوتك. فإن موتك هو أنت أيـضا. أنا أريد النسيان، والسلام.

مـيـــديا : لن تجدهما أبداً، ياچاسـون. لقد فقدتهما فى كـولشيد تلك الليلة، فـى الغابة حـيث أخـذتنى بين ذراعـيك. وسواءً كانت حية أو ميتة، فإن ميديا هناك، بإزاء فرحك وسلامك، تـسهر علـى الحراسة. إن هذا الحـوار الذى أخذتَ فـيه معـها لن تنتهى مـنه الآن إلا بموتك. وبعد كلمات الحب والحنان جاءت الشـتائم والعراك، وها هى ذى الآن الكراهيـة، فـليكنْ وإنما تتكلـم دائمًـا أنت مع ميديا. إن العالم عندك ميديا ياچاسون.

چاسون : أكان العالم عندك هو چاسون دائمًا ؟

مـيـــديا : نعم .

چاسون : سرعان مـا تنسين. لم آتِ ألقاك لآخذ معـك فى شجارٍ أخيـر من مشاحنات الحـياة الزوجيـة. وإنما هذا الفِراش الذى تزعمين أنه يربطنـا إلى الأبد. مَنْ هجره منا أولاً؟ مَنْ تلك التى قـبلت يديْن غـريبـتين على جِلدها أوْلاً، وقبلتْ ثقل رجلٍ آخر على بطنها؟

مـيــديا : أنا.

چاسون : ظننت أنكِ نسيتِ أيضا لمـاذا فررنا من ناكسوس.

مـيــديا : كنت تهربَ أنتَ منذ تلك الساعة. كان جـسمك يستقر إلى جوارى كل ليلة، ولكنك كنت تصنع لنفسك سعادةً أخـرى، من غـيـرى، فـى رأسك ذاك، رأسك القـذر المُقفل، رأس رجل. لذلك حاولت أن أفرّ منك أولاً.. نعم.

چاسون : كلمة مريعة تلك، كلمة الفرار.

مـيــديا : ليست مـريحة تمامًا، كمـا ترى، فإننى قد عَـجزتُ عن الفـرار. تلك الأيادى، تلك الرائحة الأخـرى الغريبـة، تلك المتـعة نفسـها التى لم تكن أنتَ تقـدمهـا لى، لقد كرهتُـها كلهـا على الفور. وسـاعدتك على أن تقـتلَه، أخبرتك بالميعاد، كنت شـريكتك فى الجريمة عليه، بِعتُه لك. أنسيتَها أنت تلك الليلة التى قلتُ لك فيها، تعالَ، إنه هناك. تستطيع أن تناله؟

چاسون : لن أتكلم، أبدًا، عن تلك الليلة.

مـيــديا : كنت حقـيرة أنا فى تلك الليلة، مـرتين، أليس كذلك؟ وكنت تزدرينى، وتمقـتنى بكل قـواك، ولـم يكن لى أن أنتظر منك بعـد ذلك إلا تلـك النظرة البـاردة، ولكننى ابتهـلت إليك أنتَ أن تأخذنى مـعك بالرغم من ذلك. ومع ذلك فقـد كان جـميلاً كـما تعـرف ياچاسون هذا الراعى من ناكسوس. كان فتّيا، وكان، هو، يحبنى.

چاسون : ولم لم تقـولى له أن يقتلنى؟ عندئذ كنـتُ الآن لأمسى نائمًا، بعيدًا عنك. كنت لأمسى شيئًا مفروغًا منه.

مـيــديا : لم أستطع. وتحـتّم أن أعود فألتصق بكراهيـتك، كأننى ذبابة، وأن أستأنف مـعك طريقى، وأن أعود فأتمدد من الغـد بإزاء جسـمك الذى قد ضـجر منى، حـتى أنام. أتظننى لم أكن أحتقر نفـسى أكثر منك ألف مرة، كنت أجأر وأعـوى، وأنا وحدى أمـام مرآتى؟ كنت أخـمش نفـسى وأمزق جلدى بأظافـرى لأننى تلك الكلبـة التى تعود فتـرقد فى حفرتهـا. الحيوانات تنسى أنفسـها فإذا ماتت شهـواتها افترقت عن بعضهـا بعضا.. ومع ذلك فإنـنى أعرفك. يابطلَ فـتيـات كورينث. ولقـد وزنتك وعرفت قدرك. وأعرف ماذا بوسعك أن تعطى. ولكنى مع ذلك هنا، كما ترى.

جاسون : لعلك تعجلت بقتل راعيك هذا.

ميـــديا : (ترميه فجأة) لقد حاولت ياچاسون، ألم تعرف؟ حاولت أيضا مع آخرين منذ تلك الساعة. ولم أستطع.

(فترة. جاسون يقول فجأة بصوت أخفض)

جاسون : مسكينة ميديا..

ميـــديا : **(تشب بإزائه كأنها عاصفة)** أمنعك من أن تشفق عليّ.

جاسون : والازدراء، تسمحين لى به؟ مسكينة ميديا، مثقلة بنفسك. مسكينة ميديا، لا يرسل لك العالم أبدًا إلا ميديا. بوسعكِ أن تمنعى أن يشفق عليكِ أحد. فلن يشفق عليك أحد أبدًا، ولا أنا، لو كنت عرفت اليوم حكايتك ما أشفقت عليك. إن چاسون الرجل يدينك كما يدينك الرجال الآخرون. وقد سويت قضيتُك إلى الأبد. ميديا.. إنه اسم جميل ذلك. ما خلق هذا الاسم إلا لكِ أنت وحدك فى هذا العالم. يا متكبرة. فليُذهَب بها هذه المتكبرة إلى الركن الصغير الذى تستخفين فيه بأفراحك، فلن توجد ثم ميديا غيرها. والأمهات لن يطلقن هذا الاسم أبدًا على فتياتهن. وستظلين وحدك، حتى نهاية الدهر، وحدتَك هذه اللحظة..

ميـــديا : فليكن.

چاسون : فليكن. انهضـي وشدّى من قامـتك، ضُمِّى قبـضتك، ابصقى وانكتى الأرض بقدمـيك. وكلما زاد عددنا نحن الذين ندينك، ونمقتك، حَسُنَ ذلك جدًا، أليس كذلك؟ وكلما ازدادت بك وحدتك، وازداد وجـعك حتى تشتد ضراوة كـراهيتك، حَسُن ذلك جـدًا. ومع ذلك فلست وحدكِ تمـامًا هذه الليلة، ياللأسف، وأنا الذى تعـذبتُ منك أكثـر مما تعذّب الجـميع، أنا الذى اخـترتِنى أنتِ، حتى تلتهمينى، إننى أُشفق عليك.

ميـديا : لا.

چاسون : إننى أشـفق عليـك يا ميـديا. أنتِ التى لا تعـرفين إلا نفسك، أنتِ التى لا تستطعين أن تَهَبِى ألا لتأخذى ، أُشفق عليـك أنت الموثقة أبدًا برباطٍ إلى نفـسك، يحيطُ بك عالمٌ من رؤياك أنتِ.

ميـديا : احتـفظ بشفـقتك. إن ميـديا الجريحة مـازالت مخـوفة مرهوبة. بل دافعْ عن نفسك.

چاسون : يبدو عليك مظهر حـيوان صغيرُ بقِر بطنه يتخـبط ويتعثر فى أحشائه المبتورة، وفى عَيْنَىْ رأسه مع ذلك تحفُّز للهجوم.

ميـديا : چاسون، يسوء حال الصيادين إذا سمحوا لأنفسهم بمثل هذا الحنان، بدلاً من أن يعيدوا تعبـئة سلاحهم، أتعرف كل ما أستطيع أن أفعل بعد؟

چاسون : نعم أعرف.

مـيــديا : أنت تعـرف أننى لن تداخلنى الرقـة أنا، ولن تأخـذنى الشـفقة فى الـدقيقـة الأخيـرة، وقد رأيتَنى أواجـه كل شىء، وأغامـر بأن أفقد كل شىء، لأسـبابٍ، هى فى نهاية الأمر، أقل خَطراً بكثير؛ فى مرات سابقة؟

چاسون : نعم.

مـيــديا : (تصـيح) فـمـاذا تـريد إذن؟ لِمَ تأتى فـجـأة فـتلقى بالاضطراب فى كل شىء بشفقتك؟ إننى وضيعة حقيرة، كما تعـرف. لقد غدرتُ بك، كمـا غَدَرت بالآخرين. لست أُحـسِن إلا فعـل الشرّ. ولـم تَعُـد تطيـقنى أنت، وتحس بالجريمة التى أدبرها. فهيّا، احترسْ. تراجعْ. نادِ الآخـرين. دافعْ عن نفـسك بدلاً مـن أن تنظر إلىّ هذه النظرة.

چاسون : لا.

مـيــديا : أنا مـيديا. أنا مـيـديا. وأنت مخطـئ. ميـديا التى لم تعطك أبدًا شيئًا إلا العار. كذبتُ وخادعتُ، وسرقتُ. إننى قذرة. وبسببى لا تكفـّ أنت عن الفرار، وكل شىء حولك ملوث بـالدم. إننى ميديا، أنا بَـلْواكَ ياچاسون، إننى قروحك والَجَرب الذى علـى جِلدك. إننى شبابك المضيَّع، وبيتك المشـرَّد، وحياتك الهائمة على وجـهها،

وحشـتك ومرضك المشين. إننى كل الحركـات القذرة. والأفكار القـــذرة. إننى الكبـريـاء، والأثَرة، والدناءة، والرذيلة، والجريمة، إننى نتِنة. إننى نتِنة ياچاسون. إنهم جميـعًا يخافوننى، وينكصـون أمامى. أنت تعرف، مع ذلك، أننى ذلك جـميـعًا. وأننى سـوف أغدو التـحلّل والفساد أيضـا، بعد قليل، والقبحَ الشائه، والشيـخوخة الكريهة، كل مـاهو أسود وقبـيح على الأرض، تلقيـته وديعة عنـدى، فما دمت تعـرف ذلك إذن فلم لا تكفّ عن النظر إلىّ بهذه النظرة؟ لست أريد شيئًا من حنانك. لست أريد شيئًا من عينيك الطيّبتين.

(تهتف بإزائه)

فلتكفّ ياچاسـون، فلتكفّ عن ذلك، وإلا قـتلتك فى التو حتى لا تعود تنظر إلىّ هذه النظرة.

چاسون : (بصوت خفيض) عسى ذلك خير ما يكون يا ميديا.

مـيــديا : (تنظر إليه وتقول ببساطة) لا. لست أنت.

چاسون : (يذهب إليها، يأخـذ ذراعها) فاسمعينى إذن، ليس فى وسعـى أن أَحُول دونَك وأن تكونى أنتِ نفـسَك. ليس فى وسعى أن أَحُول دونك وأن تفعلى الشرّ الذى تحملينه فى نفسك. وقد أُلقى بالنرد وتمت اللعبة على أى حال، وهذه الصـراعات التى لا حلّ لهـا مصيـرها إلى الحل،

كغيرها. ولاشك أن ثَمّ مـن يعرف من الآن كيف سوف ينتـهى ذلك جمـيعـا. ليس فى وسعى أن أحـول دون شىء. بل قُصاراى أن ألعب الدور الذى عُهِد به إلىّ منذ الأزل. إنما كل ما فى مقـدورى هو أن أقول كلّ شىء، فى ذات مرة. ليست الكلمات بشىء. حَتْمٌ مع ذلك أن تُقـال. فـإذا تحتَّمَ علـىّ أن أكون فى عـداد مـوتَى هذه الحكاية فإنما أريد أن أموت وقد اغتسلتُ بكلماتى..

إننى أحببتك يا ميديا. كما يحب الرجل المرأة، فى أوّل الأمـر. وعـساك مـا عـرفتِ ومـا تذوقتِ إلا طَعْم هذا الحب، ولكننى منحتكِ أكثرَ من حبّ الرجل - ربما دون أن تعـرفى ذلك. لقد فـقدتُ نفـسى فيكِ، كـما يفـقد الصـبى الصـغـيـر نفسـهَ فى المرأة الـتى ولدته. وكنتِ وطنى، وضَـوْئى، آمـداً طويلاً، كنت الهـواء الذى أتنسمه، والمـاء الذى يجب أن أشربه حتى أعيش، وخبزَ أيامى، يومًا بعد يوم.

عندما أخـذتك فى كولشوس لم تكونى إلا فتـاةً أجمل وأصلب من الأُخريات قهرتُها مع الفرو الذهبى وحملتها معى، أذلك چاسون الذى تأسفين لضياعه؟ لقد حملتك معى كما حـملتُ ذَهَب أبيك، كى أنفقكِ بسرعة، كى أفيد منك فى مراح وفرح، كما أنفق الذهب وأفيد منه.

ثم يبقى بعد ذلك يا إلهى مركبى ورفقائى الأوفياء، ومغامرات أخرى أقوم بها. أحببتكِ فى أول الأمر يا ميديا كما تحبين أنت، من خلال نفسى. كان العالم كله هو چاسون، وفَرَح چاسون، شجاعته وقوته، وجوعه. فإن كان لدينا كلينا أنياب ضارية، فقد كنا سنرى من يلتهم الآخر فى يوم من الأيام.

ثم جاء مساء، مساءٌ مع ذلك كغيره من الأمسيات. وغلبكِ النعاس وأنت على المائدة، كبنتٍ صغيرةٍ رأسك على كَتفى. فى هذا المساء، وما كنت إلا مرهقةٌ - ربما - من الطريقِ الطويل، أحسست فجأة أننى أحمل عبئك. لحظةً واحدة قبلها، كنت ما أزال چاسون، وما كان فى هذا العالم إلا المتعة التى أنالها، بصلابة. وما احتاج الأمر إلا أن تصمتى، وينزلق رأسك على كتفى، فانتهى كل ذلك... وبقى الآخرون يضحكون ويتكلمون حولى، لكننى كنت قد غادرتهم. مات چاسون الفتى الشاب. كنتُ أباكِ وأمكِ، كنت ذاك الذى يحمل على كاهله رأس ميديا النائم. بم كنت تحلمين أنتِ، بذهن المرأة الصغيرة الذى لكِ، بينما كنت أحمل عبئك؟ حملتكِ إلى سريرنا، ولم أكن أحبك بل لم تخامرنى الشهوة إليك، فى تلك الليلة. بل نظرتُ إليك وأنت

تنامين، فقط. كان الليل ساجيًا، وكنا قد سبقنا أولئك الذين بعث بهم أبوكِ يطاردوننا، بزمنٍ طويل. وكان رفقائى ساهرين بسلاحهم حولنا، ومع ذلك فلم أجرؤ أن أغمض عينى. دافعتُ عنكِ يا ميديا، دافعتُ عنك ضد لا شىء على أية حال، طيلة تلك الليلة.

وفى الصباح استؤنف الفرار، وتتابعت الأيام تُشابه غيرها، ولكن كل الفتيان أخذ الخوف يساورهم شيئاً فشيئًا. كل أولئك الفتيان الذين كانوا أول من تبعنى فى البحار المجهولة، كلّ أولئك الفتيان الصغار الآتين من يولخوس والذين كانوا على استعداد لمهاجمة الغيلان والمردة بأسلحتهم الهشّة الرقيقة لمجرد إشارةٍ منى، أدركوا أننى لم أعد رئيسهم، أننى لم أعد أقودهم إلى أى مكان، بحثًا عن أى شىء، الآن وقد عثرتُ عليك، كانت نظرتهم حزينة قليلاً، ولعل فيها ازدراء، لكنهم لم يتجهوا إلىّ بلومٍ أو عتب، تقاسمنا الذهب وذهبوا عنا. واستعاد العالم شكله عندئذ، شكله الذى ظننتُ أنه سوف يستبقيه فى نظرى أبد الدهر. لقد أصبح العالم هو ميديا...

أنسيتها، تلك الأيام التى لم نكن نفعل فيها شيئًا، ولا نذكر شيئًا إلا معًا؟

شريكان أمام الحياة، وقد أصبحت الحياة صلبةً خشنة، شقيقان صغيران متماثلان يحملان حقيبتهما، جنبًا إلى جنب، في الحياة وفي الموت، وقد شمّرا عن أكمامهما، لا خلاف هناك ولا نقاش، لكل منهما النصف بالنصف، ولكل منهما سِكّينه. النصف بالنصف في المتاعب والمشاق، نصفُ زجاجة الخمر عند الطعام، لقد كنت لأُخْجِلك وأُشعرك بالخزى لو أننى مددتُ لك يدى عندما كان الطريق وعراً، لو أننى تقدمت لمساعدتك. لم يعد چاسون يقود إلا مركبًا واحدة صغيرة. يا جيشى الصغير الناحل الرقيق، وقد رفَعَ خصائل شعره، وجمعه فى منديل، وعيناه صافيتان مستقيمتان، إنما كنت أنتِ جيشى. على أنه كان فى وسعى أن أقهر العالم بعد، بجيشى الصغير الوفى. وفى أول صباح على سفينتى «آرجو»، مع بحارتى الثلاثين الذين وهبونى حياتهم لم أكن أحس بمثل تلك القوة، وفى المساء، عندما تأتى ساعة الأوْبة إلى المعسكر، كان الجندى والقائد يخلعان ملابسهما جنبًا إلى جنب، يدهشهما كل الدهشة أن يجدا نفسيهما رجلاً وامرأة، تحت ملابسهما المتشابهة، وأن يكونا عشيقين.

بوسعنا الآن أن نَشْقَى يامـيديا، وأن نمزّق أحدنا الآخر، ويتعذب، فقـد أُعطيتْ لنا تلك الأيام الخوالى، وما عاد بالإمكان، أبدًا، أن يوجد ثم خزى أو دم يلوثها. . .

(صـمت. يحلم قليـلاً. كـانت ميـديا قـد جلست القـرفصـاء على الأرض فى أثناء كلامـه، وذراعاها حول ركبـتيهـا وأخْفت رأسـهـا. يقـعد القـرفـصـاء على الأرض بجوارها دون أن ينظر إليها).

وبعد ذلك عـاد للجندى الصغيـر وجهه، وجـه امرأة، وتحتّم على القائد أن يعـود رجلاً هو أيضا، وبدأنا نؤلم أحدنا الآخر ، كانت تمر بالشـارع فتياتٌ أخرى لم يكن بوسـعى أن أمنع نفـسى مـن النظر إليـهن. وسـمـعت ضحكـتكِ للمرة الأولى تمتـزج بضحك رجـالٍ آخرين، ودهشت، ثم جاءت أكاذيـبك. كذبةٌ واحدة فى الأول، أخذت تقتفى أثرنا أمدًا طويلاً، كأنها حيوانٌ سامّ ما كنا نجسر على أن نُحِـدّ إليـه النظر، عند مـا نستـدير، ثم أكاذيب أخرى، تزداد عـددًا كل يوم. وفى المساء عندما كنا نعـود فنأخذ أحـدنا الآخر، خـجلْين من جـسمـيْنا الشريكين فى الإثم، كـانت كل قافلة الأكاذيب تحتـشد وتصعِّد أنفاسها حوالينا، طيلة الليل. لاشك أن كراهيتنا

قد وُلدت فى خــلال معــركة من تلك المعــارك التى كان يعوزها الحنان، ومنذ تلك الساعة أصبحنا ثلاثة هاربين، فى وسطنا تلك الكراهية. ولكن لمَ الإلحـاحُ على ما قد لحق به الموت. . ؟ إن كراهيتى أيضا قد ماتت.

(يكفّ. ميديا تقول بصوت خفيض)

ميــــديا : إن كنا لا نحرس إلا أشـياء ميـتة، فلم نتـعذب كل هذا العذاب، كلينا، ياچاسون؟

چاسون : لأنّ كل شىء فى هذا العالم تـشقّ ولادتُه، ويشقٌّ موته أيضا.

ميــــديا : هل تعذبتَ؟

چاسون : نعم.

ميــــديا : عندما كنت أفعل ما أفعل، لم أكن بأكثر منك سعادة.

چاسون : أعرف ذلك.

(فترة)

ميــــديا : (تسـأل بصــوت مكتـوم) لمـاذا بقـيت كل هذا الوقت الطويل؟

جاســون : (يأتى بحـركة) كنت قـد أحبـبتكِ يا مـيديا. كنت قـد أحببت حياتنا الهوجاء. أحـببت الجريمة والمغامرة معك. وعناقنا، وصـراعاتنا القذرة، صـراعات الحـثالة. وهذا التفـاهم الذى يسود بين شريكـين فى الجريمة والذى كنا

نلقاه فى المساء على حشيّة القش، فى ركنٍ من أركان عربتنا، بعد أن نضرب ضرباتنا. أحببتُ عالمكِ الأسود. وجرأتك، وتمردك، وتآمرك مع الهول ومع الموت، سُعاركِ المستميت الذى يحثك على تدمير كل شىء. كنت قد آمنت معك أنه لزامٌ دائمًا أن يأخذ المرء، وأن يقاتل، وأنّ كل شىء مباح.

ميديا : وما عدتَ تؤمن بذلك هذا المساء؟

چاسون : لا، إننى الآن أريد أن أَقبَل.

ميديا : (تتمتم) تقبل؟

چاسون : أريد أن أكون متّضعًا. هذا العالم، هذا الاضطراب الذى كنت تقودينني فيه من يدى، أريد له، أخيراً، أن يتخذ شكلاً محدداً. إنما أنتِ محقّة بلاشك إذ تقولين أنه ليس ثمّ عقل، ليس ثمّ نور، ليس ثمة وقفة يركن إليها المرء. إنه حتمٌ أن يُقلبّ المرء فى الأيادى الدامية، وأن يخنق المرء، ويلقى بعيداً كل ما ينتزعه انتزاعًا، لكننى أريد أن أتوقف أنا، الآن، أن أكون رجلاً. أن أفعل، بلا أوهام، كما يفعل أولئك الذين تزدريهم، ما فعله أبى، وأبو أبى وكل أولئك الذين انصاعوا قبلنا، وكانوا فى ذلك أبسط منا، فنظّفوا وأعدوا لأنفسهم مكانًا صغيراً يقف فيه الرجل فى هذا الاضطراب وهذا الليل.

ميــديا : بمقدورك هذا فيما تعتقد؟

چاسون : من غيـرك، من غيـر سُمّكِ الذى أشـرب منه كل يوم، سيكون هذا بمقدورى. نعم.

ميــديا : من غـيرى. فـهل استطعتَ إذن أن تـصورّ عـالمًا من غيرى، أنت؟

چاسون : سأحاول ذلك بكل ما يسعنى من قوة. لم أعد الآن من الشباب بحيث أتعذب. هذه التناقضات الـرهيبة، هذه الهُوّات العـميقـة، وهذه الجروح، إننىَ أرد عليـها الآن بأبسط حركةٍ اخترعها الرجال حتى يعيشوا، إننى أُنّحيها عنى.

ميــديا : (تتكلمُ بصـوت خـفـيضٍ) ياچاسـون، وتقول كلمـاتٍ مخيفة، شدما أَنت واثق مِن نفسك، شدّما أنت قوى.
نعم. إننى قوى.

چاسون : جنس قابيـل، جنس العادلين، جنس الأغنيـاء، شـدّما

ميــديا : تتكلمـون بهـدوء ، إن هذا بلاشـك شىء طيب، أليس كـذلك، أن تكـون السـماء فى صف المرء، والشـرطة أيضًا. شىء طـيب أن يفكر المرء، ذات يوم، كمـا كان يفكر أبوه، وأبو أبيـه، يفكر كما كـان يفكر كل أولئك الذين كانوا دائمًا على صواب منذ الأزل. شىءٌ طيب أن يكون المرء طيبًا، أن يكون نبيلاً، أن يكون أمينًا، وذلك

كله يُعطَى للمرء فى ذات صباح، كما لو كان قد تأتىً بالصدفة، عندما تبدو أولى المتاعب، أولى التجاعيد فى الوجه، أولى النقود الذهبية. الْعَبْ اللعبة ياچاسون، قم بالحركة المطلوبة، قلْ نعم. أنت تهيىء لنفسك شيخوخةً حلوة. أنت.

چاسون : هذه الحركة كنت أريد أن آتيها معك ياميديا. كنت لأهبك كل شىء لتنعم بالشيخوخة معًا.

ميديا : لا.

چاسون : فاتبعى مسارك. دورى، دُورِى، مزقّى نفسك، قاتلى، ازدْرِى، اقذفى بالإهانات اقتلى، ارفضى كل ما ليس ذاتك. أما أنا، فإننى أتوقف. وأرضَى، أقبل هذه المظاهر بنفس الصلابة ونفس العزم الذى رفضتها به فى الماضى معك. فإذا تحتم أن أواصل القتال فإنما فى سبيلها أقاتل الآن، باتضاع، مُسندًا ظهرى إلى هذا الحائط الهش المبنىّ بيدىّ بين العدمِ السخيف وبين نفسى.

(فترة، ثم يقول)

وهذا بلاشك فى نهاية الأمر - وليس شيئًا آخر- هو أن يكون المرء رجلاً.

ميــديا : لا يساورك فى ذلك الشكّ ياچاسون. أنت الآن رجل.

چاسون : إننى أقبل احتقارك، مع هذا الاسم.

(ينهض)

تلك الصبية جميلة. أقل منك جمالاً عندما ظهرت لى فى تلك الليلة الأولى فى كولشيد، ولن أحبها أبداً كما أحببتك. لكنها جديدة، إنها بسيطة، إنها رقيقة، سوف أتلقاها فى التو، دون ابتسام، من يدى أبيها وأمها، فى شمس الصباح، بثوبها الأبيض، وموكبها الذى يسير فيه الأطفال الصغار. من أصابعها المتعثرة غير المدربة، إنما انتظر التواضع والنسيان وأنتظر، إن شاءت الآلهة، ما تكرهينه فى هذا العالم، أشد كراهية، وأشد الأشياء بعداً عنكِ، انتظر السعادة، السعادة، السكينة.

(صمت. يكفّ عن الكلام. تتمتم ميديا)

ميــديا : السعادة. . .

(صمت آخر. تقول فجأة بصوتٍ صغير متضّع، دون حركة)

چاسون، ذلك شىء يشقّ قوله، ويوشك أن يكون مستحيلاً، ذلك يخنقنى يُخزينى. لو قلت لك إننى سأحاول الآن معك، أتصدقنى؟

چاسون : لا.

ميـــديا : (بعد فترة) وتكون محقًا.

(ثم تقول بصوت محايد)

وإذن. فقد قلنا كل شيء، أليس كذلك؟

چاسون : نعم.

ميـــديا : فـرغتُ الآن، وأنـت. اغـتـسلـت. بمقـدورك الآن أن تذهب. وداعًا ياچاسون

چاسون : وداعًـا يامـيـديا. لا أستطيع أن أقــول لك: كـونى سعيدة... فكونى نفسك

(يخرج. ميديا تتمتم مرة أخرى).

ميـــديا : سعادتهم....

(تشد من قامتها، فجـأة، وتصيح بچاسون الذى اختفى)

چاســون. لا تمض هكذا. عُـد. اصـرخ بشىء. تردد. تألم. چاسون أبتهل إليك. حسبـك دقيقة من الضيـــاع أو الشك الذى يبدو فى عينيك، لإنقاذنا جميعًا...

(تجرى خلفه، تقف وتصيح مرة أخرى)

چاســون. أنت مُـحق، أنت طيب، أنت عــادل، وكل شىء غـبارُه علـى كاهلى إلى الأبد. ولكــن فليســاورك الشك فى ذلك لحظةً صغيرة واحدة. عُدْ.

فعساى عندئذ أن أنجو....

(تسقط ذراعُـها، منُهكة. لاشك أن
چاسـون قد ابتـعد. تنادي بصـوت
مغاير).

يا مرضع.

(تظهر المرضع على عتبة العربة).

سوف يشرق النهـار وشيكًا، أيقظي الطفلين، ألبسيـهما كمـا يلبسان في الأعـياد. أريد أن يذهبا يحـملان هدية العرس التي أقدمها لِبنت كريون.

المرضـع : هديتك يا مسكينة. فماذا بقي لك مما يُهدَى؟

مـيـديا : في الركـن. الصندوق الأسـود الذي جـئـت به من كولشوس. هاته

المرضـع : كنت قد حظرتِ أن يُلمس. بل أن يعرف چاسـون نفسه بوجوده.

مـيـديا : فاذهبي هاتِه يا عجوز، دون ثرثرة. لم يعد عندي وقتٌ أصـغي فيـه إليك أنتِ، يجب أن يسيـر كل شيء الآن بأقصى سرعة. أعطي الصندوق للطفلين واذهـبي معهما حتى تبدو لك مشارف البلدة، وليسألا عن قصر الملك، ويقولا إنها هدية للعروس من أمهـما ميديا.. وليسلماه إليها في يديهـا وليـعـودا بعـد ذلك ثم اسمعـي. إن الصندوق يحتوي على نـقاب من الذهب وتاج. بقايا كنز عشيرتي. يجب ألا يفتحاه.

(تصرخ فجأة، صرخة مروعة).

ياعجوز. أطيعيني.

(تختفي العجوز في العربة. ثم تخرج منها بصمت مع الطفلين..)

ميديا : (وقد بقيت وحدها) أما الآن يا ميديا فينبغي أن تكوني نفسك.. أيها الشر. أيها الحيوان الضخم الحيّ الذي يَعيث فوقي ويلعقني، فلتأخذني إليك. إنني لك هذه الليلة، إنني امرأتك. فلْتنفذ في داخلي، مزقني ولْتَتَضخم وتكويني في وسطي. هأنت ترى، إنني أرحب بك، إنني أساعدك، إنني أفتح نفسي.. فلتثقل عليّ بجسمك الضخم الأشعر، ضمنّي بين يديك الكبيرتين الخشنتين، وأنفاسك البحّاء على فمي، اخنقني. إنني أحيا أخيراً. أتعذب وأولَد. هذا عرسي. إنما عشت من أجل ليلةِ العشق هذه معك.

وأنت أيتها الليلة، أيتها الليلة الفادحة، أيتها الليلة التي تلغط بلَجبِ الصراع والصيحات المكتومة، أيتها الليلة المحتشدة بوثبات كل الحيوانات التي يطارد بعضها بعضاً، ويأخذ بعضها بعضاً إليه، ويقتل بعضها بعضاً. انتظري قليلاً من فضلك لا تمري بأسرع مما ينبغي.. أيتها الحيوانات التي لا عداد لها حولي، أنتِ تفلحين هذه

الأرض خفيةً، أيتها البراءات المخوفة، يا قَتَلة...
هذا مايسميه الرجال ليلة هادئة، هذا الاحتشاد الضخم العملاق من المضاجعة والعشق الصامت القاتل. لكنني أحس بك، أنا، إنني أسمعك جميعًا، هذا المساء، للمرة الأولى، في أغوار المياه والأعشاب، في الأشجار، تحت الأرض.. دمٌ واحد بعينه يضرب في شراييننا. ياحيوانات الليل، أيتها الخانقات، يا أخواتي.. ميديا حيوان مثلكنّ. ميديا سوف تستمتع وتقتل مثلكن. هذه الأرض تجاور أراضي أخرى، وتلك الأراضي تجاور أخرى حتى تخوم الظل، وفيها ملايين من الحيوانات تعشق وتذبح بعضها بعضًا في نفس الوقت. ياحيوانات هذه الليلة. ميديا هنا. واقفة في وسطكن، راضية، تخون عشيرتها. وأنا أُطلق معكنّ صيحتكنّ الغامضة. وأقبل الوصية السوداء مثلكن، دون أن أسعى للفهم بعد الآن، إنني أسحق تحت قدمي، وأطفئ، النور الصغير، وآتي بالحركة المخجلة. وآخذ على نفسي وأتقبل، وأتطلب. ياحيوانات، أنا هي أنتنّ. كل ما يسعى الليلة للقنص ويقتل، هو ميديا.

المرضع : (تدخل فجأة) ميديا. لابدّ أن الطفلين قد وصلا إلى القصر، هناك همهمة كبيرة تصعد من المدينة. لست

أدرى ما جـريمتك، لكن الهواء يدوى بها منذ السـاعة.
ألجمى الحصان بسرعة، ولنهرب، لنسرع إلى الحدود.

مـيـــديا : أهرب أنا؟ لو أننى كنت قد رحلت لعدتُ الآن أستمتع بالمشهد.

المرضــع : أى مشهد؟

الصـــبى : (يظهـر فجـأة) كل شىء قد ضـاع. المملكة والدولة قد انهارتا. المَلك وبنته قد ماتا.

مـيـــديا : ماتا بهذه السرعة؟ كيف كان ذلك؟

الصـــبى : جـاء طفلان عند الـفجـر يحمـلان هدية إلى كـريون، صندوقًا أسود يحـتوى على نقاب مطرّز بالذهب تطريزًا باذخًا، وتاجًا ثمـينًا. وما كادت تمسـهما، ومـا كادت تزدان بهما، كبنتٍ صغيرة طُلَعة أمام مرآتها، حتى هوت تتلوى بالألم الفظيع، وقد شوّهها العذاب.

مـيـــديا : (تصيح) دميمة؟ دميمة كالموت، أليس كذلك؟

الصـــبى : هُرع كريون، أراد أن يأخذها، أن ينتـزع النقاب والحلقة الذهبـية التى قـتلت ابنتـــه، ولكنـه مـا يكاد يمسهـما، حتى يشحب وجهه أيضا، ويتردد لحظة والهول فى عينيه ثم يتـردى، وهو يجـأر من الألم. رقدا أحـدهمـا إلى جـوار الآخر، هـما الآن يجـودان بأنفـاسـهمـا، همـا يتلويان، وقد تلاحـمت أوصالهما، ومـا يجرؤ أحد أن

يدنو منهمـــا. لكن اللجب يسرى أنك أنـــت التى أرسلت إليهما بالسمّ. أخذ الرجال عصيهم وخناجرهم، وهم يسارعون إلى العربة، لقـد جريت قبلهم، لن يتاح لكِ الوقت أن تُبرئى ساحتك. اهربى يا ميديا.

ميـــديا : (تصيح) لا.

(تصيح بالصبى الذى يفر)

شكراً أيهـا الصغـير شكراً للمـرة الثانيـة. اهربْ أنت. يَحسُن ألا تكون لك بـى معـرفـة. طالمـا بقى الناس يتذكرون، يحسن ألا يكون أحد قد عرفنى.

(تلتفت إلى المرضع)

خذى سكينًا يا مرضع. واذبحى الحصان، حتى لايبقى، فى التو، شىءٌ من أثر ميديا. ضعى حطبًا تحت العربة، سنوقد نارًا نفرح بها كما يفعلون فى كولشيد. تعالى.

المرضـع : إلى أين تسوقيننى؟

ميـــديا : أنت تعرفين. المـوت، الموت خفيفٌ مَحْمَلُه. اتبـعينى ياعجوز، وسـترين لقد فرغتِ من جرّ عظامك العتـيقة التى توجـعك وفـرغت من الأنين والشكوى. وسـوف ترتاحين أخيراً، يومَ أحد طويل.

المرضـع : (تنتزع نفسها وهى تجأر) لا أريد يا ميديا. أريد أن أعيش

ميديا : كم من الزمن ياعجوز تعيشين، والموت يحيط بك ويحطّ على كاهلك؟

(يدخل طفلان جريًا يلقيان بأنفسهما فزعيْن فى أذيال ميديا)

ميديا : (تتوقف) آه. هذان أنتما؟ أخائفان أنتما؟ كل هؤلاء الناس الذين يجرون ويتصايحون، هذه الأجراس.. كل ذلك سوف يصمت.

(تجذب رأسيهما إلى الوراء، وتنظر فى أعينهما تتمتم)

البراءة مصيدة فى عيون طفليْن، حيوانين صغيرين ماكرين، رأسىْ رجال. تحسان بردًا؟ لن أوجعكما. سوف أكون سريعة. مجرد لحظة من دهشةٍ للموت فى أعينكما.

(تلاطفهما)

هيا، كىْ أعيد إليكما الأمن. كى أضمكما لحظة. جسديْن صغيريْن دافئيْن.. المرء يشعر بإحساس طيب وهو يلتصق بأمه، ولا يعود به خوف، يا حياتين صغيرتين دافئتين، طالعتين من بطنى، يا إرادتين صغيرتين للحياة، وللسعادة...

(تصرخ فجأة).

جاسون. هاك عائلتك قد التم شـملها فى حنان. فانظر إليها. ولتـتساءل بعد ذلك أبـدًا مـا إذا لم تكن ميديا، هى أيضًا، قد أحبت السـعادة والبراءة. ما إذا لم تكن، هى أيضًا، باستطاعتها أن تعتنق الوفاء والإيمان. وعندما تتعـذب، فى التو، وحتى يوم مـوتك، فكر فى أنه كان هناك، ذات مرة، مـيديا بنتًـا صغـيرة متطلـبة وطاهرة. مـيديا صغـيرة رقـيقـة ملففـة ملثمـة فى أغوار مـيديا الأخرى، فكر فى أنها كانت لتصارع وحدها تمامًا، دون أن تمتد إليهـا يد، وأنها كانت هى امرأتـك الحقة. كنت لأريد يا جاسون ربما كنت لأريد أنا أيضًـا أن نعيش فى الثَّبات والنبات، كـما يحدث فى الحكايات. وأنا أريد، أنا، أريد، السـاعـة أيضًا، وأريد، بمـثل قوة مـا أردتَ عندما كنـت صغيـرة، أن يكون كل شىء خيِّـراً ونيِّراً. لكن ميديا البريئة قد وقع عليها الاختيار أن تكون فريسةً وموقعة للصراع... أخريات أضعف بنية أو أكثر ابتذالاً يسعـهن أن ينزلقن من بين حلقـات الشبكة حـتى يبلغن المياه الساجـية أو يبلغن وحل القاع. أما الصيد الصـغير فالآلهة تنبذه. لكن ميديا صيدٌ ثمينٌ فى الشبكة، وهناك تبقى. الآلهة لا تحصل على هذه النعـمة من السماء كل

يوم، روحٌ من القوة بحيث تقف أمـام لقائهم، وتصمد لألعابـهم القذرة، لقد وضـعوا كل شيء علـى ظهرى، وَقَفوا ينظرون إليّ أتخبط. فـانظر معهم يا چاسون آخرَ تلويات ميديا. عليّ أن أذبح الـبراءة بعد فى تلك البنت الصغـيرة التى ما أكـثر ما أرادت، وفى هاتـين القطعتين الصغيرتين الدافئتين من نفسى. إنهم ينتظرون هذا الدم، هم هناك فى الأعلى، وما عادوا يطيقون الانتظار.

(تجر الطفلين إلى العربة).

تعاليا يا صغيرين، لا تخافا. هأنتما تريان، إننى أمسك بكما، إننى ألاطفكما وسوف نعود ثلاثتنا إلى البيت. . .

(يدخلون الـعـربة. يبـقى المسـرح خـاويًا لحظة، تـظهـر المرضع شـاحـبـة مرهـقة، كـحـيـوان مطـارد يتـوارى، وتنـادى).

المرضـع : ميديا. ميديا. أين أنتِ؟ إنهم يصلون.

(تنكص وتصرخ فجأة)

(تندلع الـنار من كل جـانب وتُـحْـدق بالعـربة. يدخل چاسون مسرعًا على رأس رجالٍ مسلّحين).

چاسون : أطفئوا هذه النار. أمسكوا بها.

مـيــديا : (تظهر مـن نافذة العربة وتـصيح) لا تقتـربْ ياچاسون. امنعهم من أن يأتوا بخطوةٍ واحدة.

چاسون : (يتوقف) أين الطفلان؟

ميـــديا : فلتـتســاءل لحظةً واحدة أيضًـا. حتى أنظر فى عـينيك، وأُدقّق النظر.

(تصيح به)

لقد مـاتا ياچاسون. مـاتا مذبوحيْن كلـيهمـا، وقبل أن يسعك القـيام بخطوة واحدة سـوف تضربنى هذه النار. ومنذ الساعـة اتخذتُ صولجـانى، وقد رُدّ إلى كولشـيد أخى، وأبى، وفرو الكبش الذهبى، واستردتُ وطنى، والعذريّة التى سلبـتَها منى. وأنا، أخيـراً، ميديا، وإلى الأبد. انظر إلىّ قـبل أن تبـقى وحـدك فى هذا العـالم المنطقى المعـقول، انظر إلىّ ودقق النظر ياچاسـون. لقد لمستُك بهاتين اليـديْن، وضعتُهما على جـبينك الملتهب حتى يبرد، وفى أحيانٍ أخرى كانت هاتان اليدان ملتهبتين على جلدك، لقـد أبكيتك، وحملتك عـلى أن تعشق. انظر إليهماهما يدا أخيك الصغير امرأتك، ها أنا . هذه أنا. هذه ميديا بكل فظاعتها. حاول الآن أن تنساها.

(تضرب نفسـها وتتردى فى اللهب الذى يتـأجـج ويحـرق العـربة. چاسون يوقف الرجـال الذين هموا بالوثوب، بحـركةٍ من يده، ويقـول ببساطة)

چاسون : نعم، سأنساكِ، نعم، سـأعيش، وعلى الرغم من الأثر الدامى الذى خلّفه مرورك بجانبى، سأعيد من الغد، فى صبر، إقـامـة البناء الهش الذى هو يقين الرجـال تحت أعين الآلهة التى لا تبالى.

(يلتفت إلى الرجال)

فليقف أحدكم حارساً على النار حـتى لا يبقى منها غير الرماد، حتى تحـترق آخر عظْمةٍ من عظام مـيديا. وأنتم الآخرين، تعـالوا، فلنعد إلى القصـر. يجب أن نعيش الآن، وأن نكفل النظام، وأن نسنّ لـكورينث قوانينهـا. ونُعيـد، دون وهم، بناءَ عالمٍ على مقـياسنا لكى ننتظر فيه أن نموت.

(يخرج مع الرجال فيـما عدا واحداً يلفّ لنفسه سـيجـارة، ويقف، فى غـيـر رضا، للحـراسـة أمـام النار، تـدخـل المـرضـع وتـأتـى، عـلـى استحيـاء، لتقعد القرفصـاء بجانبه، فى نور النار المعتم، الذى يستبين).

المرضـع : لم يكن لأحـدٍ الوقت أن يـسـمع إلىّ، أنا. ومع ذلك فعندى ما أقول. النهار يُشرق، بعد الليل، ويجب علىّ عمل القهوة، ثم تسـوية السراير، وعندما يفرغ المرء من

الكنس، تبقى له لحظةٌ صغيرة من الراحة فى الشمس قبل تقشير الخُضَر. وعندها يكون شيئًا طيبًا، إذا كان المرء قد استطاع أن يوفّر لنفسه قرشًا أو قرشينِ، عندها يشرب المرءَ جرعة صغيرة من الخمر، يحسها دافئةً فى جوفه. وبعد ذلك يأكل المرء ويغسل الأطباق. وبعد الظهر هناك الغسيل أو المواعين، ويثرثر المرءُ قليلاً مع الجيران ويأتى ميعاد العشاء بكل هدوء فيتمدد المرء وينام.

الحارس : (بعد فترة) سيكون الجو لطيفًا اليوم.

المرضع : وستكون سنةَ خير. فيها شمس ونبيذ. وكيف حال المحصول؟

الحارس : انتهينا الأسبوع الماضى من الحصاد. وسندخل به غداً أو بعد غد إذا ظلّ الجو حسنًا.

المرضع : والمحصول طيب عندكم؟

الحارس : ما يحق لأحدٍ أن يشكو. كل الناس ستجد لقمة العيش هذه السنة.

(تنسدل الستار فيم يتحدثان).

* * *